أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبيّ "في البلاغة العربية"

أ.د. وليد إبراهيم القصَاب

تمهيد

بدأ النقد الانطباعي يتراجع منذ أوائل القرن الماضي أمام مدرسة نقدية جديدة قامت على الاهتمام بالعمل الأدبي نفسه ، وتركيز اهتمامها حول هذا العمل وحده، بدلا من استفراغ الجهد في دراسة شخصية صاحبه، والملابسات التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية التي تحيط به.

وتنظر هذه المدرسة الجديدة إلى العمل الأدبي على أنه جسد لغوي، قوامه الأساسي هو اللغة، ومن هذا المنظور تهتم بالأثر الأدبي وحده، وتحاول الكشف عن أسراره اللغوية، وطاقاته الأسلوبية، وتحاول تحليل ذلك كله تحليلاً موضوعيا عميقا.

وقد حدث ذلك كله بسبب التطور الهائل الذي بلغته الدراسات اللغوية في القرن الماضي عندما كان المنهج التاريخي يبسط ظله على الدراسات الإنسانية كلها، وما لبث سلطان اللغويين ،وما بلغوه من شأو بعيد في دراساتهم وأبحاثهم أن امتد إلى الدرس الأدبي ليترك عليه بصماته الواضحة المتميزة . وسيطرت اللسانيات الحديثة - التي عدّ العالم السويسري فردينان دو سوسير رائدها- على ساحة الدراسات الأدبية والنقدية ، فغلب على النقد الأدبيّ الحداثيّ وما بعد الحداثيّ الاهتمام باللغة، وغلت بعض المناهج في هذا الاهتمام ، حتى لم تعد تهتمّ من العمل الأدبيّ بشيء غير لغته.

وقدّمت اللسانيات مجموعة من المناهج النقدية التي عنيت بالوقوف عند "داخلية" العمل الأدبيّ ، وهي مناهج كثيرة، مختلط بعضها ببعض

اختلاطا يجعل التميز بينها أحيانا صعبا غير ميسور . ومن هذه المناهج اللغوية : الأسلوبية ، والشكلية الروسية ، والشكلية التشيكية ،والبنيوية ، والسيميائية ، وغيرها.

وقُدمت الأسلوبية ، أو علم الأسلوب ،على أنها خلف للبلاغة القديمة،أ وأنها البديل و الوريث الوحيد لها ، و قيل إنّ " البلاغة هي سلف الأسلوبية"(١)

وتحمّس قوم منا لهذا الجديد ، فاندفعوا في قول غير متوازن ؛ فرموا البلاغة العربية بالعقم ، وقالوا إننا" ما زلنا ندرّس طلابنا في المدارس والجامعات البلاغة بعلومها الثلاثة ، ولا نعي أنّ ما ندرّسه لهم(٢) لم يعد يصلح لشيء؛ فلا هو أداة نقدية صالحة للتوظيف ، ولا هو أساس لمعرفة ذوقية أو تبصّر جماليّ"

إنّ علم الأسلوب هو علم لغوي غربيّ ، نشأ من اللسانيات الحديثة، وهو محاولة للقاء بين علم اللغة والنقد الأدبي ؛ إذ يقدم اللغويون هذا العلم للناقد الأدبي كي يستعين به على دراسة المادة اللغوية في العمل الأدبي مصنفة تصنيفا علميا دقيقا، يساعد – فيما يقال- على فهم العمل الذي بين

---

(١) نحو أسلوبية جديدة، فيلي سانديرس، ترجمة: خال محمود جمعة: ص ٩٥ " دار الفكر ، دمشق: ١٤٢٤/ ٢٠٠٣"

(٢) عبد الله الغذّامي ، نقد ثقافيّ أم نقد أدبيّ ، ص١٢ " بالاشتراك مع إصطيف ، دار الفكر ، دمشق :١٤٢٥/ ٢٠٠٤

يديه فهما أقرب إلى الموضوعية؛ إذ يركّز على طبيعة الأدب ، وخصائصه اللغوية ، وما يميّزه من الكلام العاديّ .

ولكنّ الحقّ أن البلاغة العربية – بعلومها الثلاثة – هي علم الأسلوب العربيّ، وما يتم اليوم تحت ما يسمى "الأسلوبية" أو علم الأسلوب ما هو إلا توزيع جديد لمباحث البلاغة العربية المختلفة، ويتمّ ذلك – في أغلب الأحيان- بمصطلحات جديدة استبدلت بمصطلحات قديمة معروفة.

إن علم المعاني على سبيل المثال اعتنى بالبحث في صور الألفاظ والتراكيب ونظمها على نسق معين لاعتبارات مختلفة تخضع فيه للموضوع،و للسياق، ولمقتضى الحال، ولغير ذلك.

وأما البيان – أو علم الصورة بتعبير نقاد اليوم – فهو إخراج الدلالة التي رسم مبادئها علم المعاني بصياغة غير مباشرة، أي بصياغة تصويرية مجازية، وبذلك يرتقي الكلام الذي تهندس في علم المعاني من مستوى الكلام العادي ،أو المباشر، إلى مستوى الكلام الأدبي؛ إذ في البيان يُعدل عن التعبير المألوف إلى التعبير الباهر المدهش، يتجاوز الكلامُ فيه الصحة والسلامة ومراعاة الحال والسياق والمخاطب والظرف ليضيف إليها الجمال، أي تقديم جميع ما تقدّم بأسلوب ماتع شائق جذاب، فيكون بذلك أكثر بلوغا، وأقدر على التأثير والوصول إلى المتلقي؛ إذ تتجاوز اللغة فيه وظيفة الإبلاغ والتوصيل فقط ،إلى الإبلاغ و الإمتاع معا ، وإلى التوصيل والتأثير في وقت واحد. .

ثم يأتي علم البديع ليقدّم للأسلوب جماليات أخرى، تحسّنه لفظيا ومعنويا، وتقدّم له وسائل إيقاعية ،وطرائق مختلفة تشكّله أكثر ترابطا ومفارقة.

إنّ هذه العلوم الثلاثة متضافرة معا لتشكيل الأسلوب، ولتحقيق جمالياته. ولا يعد أحدهما – كما ذهب إلى ذلك بعضهم- أدنى منزلة أو أقل أهمية، بل هي جميعا ذات شأن في الكلام، وكلٌّ منها يؤدي وظيفة معينة، أو يناط به تحقيق غرض لا يحققه العلم الآخر .

عوامل تشكيل الأسلوب :

تنبهت البلاغة العربية إلى أن الأسلوب متعدد الجوانب ، وهو يخضع في تشكله على نسق معين لمجموعة من العوامل، من أبرزها :المؤلف، والموقف، والنص ، والمتلقي. وهو – من ثمّ- ليس ملكا لواحد من هذه العناصر فحسب.

وقد بيّن حازم القرطاجني الجهات المختلفة التي تخضع لها الأساليب ومذاهب القول، وهو ممّا ينبغي مراعاته.

قال حازم : " والأقاويل الشعرية أيضا تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل ، التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه ، أو التي هي أعوان للعمدة . وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه،أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له .."(١)

---

(١) منهاج البلغاء :ص ٣٤٦، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس :١٩٦٦

و بيّن حازم ما يرجع إلى كلّ جهة من هذه الجهات ، ثـمّ قـال في موضـع آخر : " وإذ قد تبين أن الكلام يهيأ للقبول من جهة ما يرجع إليه ، وما يرجع إلى القائل ، وما يرجع إلى المقول فيه ، والمقول له ؛ فواجب أن يُعلم أن للكلام في كل مأخذ من تلك المآخذ، التي بها تغتر النفوس لقبوله، هيئاتٍ من جهة ما يلحقه من العبارات ،وما يتكرر فيه من المسموعات.."(١)

وهذا ما تشير إليه الأسلوبية الحديثة ؛ فتقول:"إن عنصر الأسلوب لا يمكن تجريده من النص ،ولا من المؤلف ، ولا من المتلقين "(٢)

وهنالك تعريفات متنوعة للأسلوب بحسب النظر إلى عنصر من هذه العناصر، كما أنّ هنالك أشكالا من الدراسات البلاغية الأسلوبية تتناول كل واحد من هذه العناصر ، وتبرز دوره في تشكيل الأسلوب وتوجيهه وجهة معينة.

يقول فيلي سانديرس: "للأسلوب عموما بنية كلية منظمة تراتبيا، تميّز بطريقتين واضحتين من التصنيف، هما : مستويات أسلوبية، وتمثّل المستوى الأسلوبي الفردي الناتج عن الظروف النفسية والاجتماعية لشخص ما . وأنماط أسلوبية، وتشير إلى الجوانب الأسلوبية الجماعية والسياقية

---

(١) السابق: ص ٣٤٧

(٢) انظر : موسى ربايعة " الأسلوبية : الاتصال والتأثير" ص٢٨ " مجلة علامات، ج٢٧/ م٧/ ذوالقعدة :١٤١٨/ مارس:١٩٩٨"

والوظيفية والنصّية، بالنظر إلى الانتماء الجماعيّ للفرد في مجتمع له قواعده ومعاييره وعاداته الخاصّة.(١)

١- الأسلوب والفرد "المبدع":

إن المؤلف هو مبدع الأسلوب ، وهو صاحبه . والأسلوب من علامات عبقريته وتميّزه، وهو - في أحد وجوهه- ظاهرة فردية ، تمثّل القائل ، وتدلُّ عليه .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى الجانب الفردي في عملية الإبداع الأدبيّ ، وإلى مقدار الجهد الشخصيّ المبذول فيها، وإلى الجهة التي منها يضاف الكلامُ البليغُ إلى صاحبه،وهي ليست في أنفُس الكلام التي يملكها كلُّ أحد ، ولكن في أسلوب صياغتها. يقول :"نحن إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله..لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلِمٌ وأوضاع لغة ، ولكن من حيث تُوُخّي فيها النظمُ الذي بينّا أنه عبارة عن توخّي معاني النحو في معاني الكلِم.. فكما لا يشتبه الأمر في أن الديباج لا يختصّ بناسجه من حيث الإبريسيم، والحليّ بصائغها من حيث الفضة والذهب.. ولكن من جهة العمل والصنعة، كذلك ينبغي أن لا يشتبه أن الشعر لا يختصّ بقائله من جهة أنفس الكلام وأوضاع اللغة.."(٢)

---

(١) نحو أسلوبية لسانية : ص١٩٠،وانظر " الأسلوبية: منهجا نقديا" محمد عزّام ، وزارة الثقافة، دمشق : ١٩٨٩

(٢) دلائل الإعجاز : ص٣٣٩

وهنالك لون من ألوان الدراسات الأسلوبية الحديثة تعنى بالفرد القائل من منطلق عبارة بوفون المشهورة :"الأسلوب هو الشخص(١)نفسه "وتسمى الأسلوبية الفردية، أو أسلوبية الكاتب. وهي ترى أن اللغة ظاهرة فردية ، وهي تتشكل عند كل قائل على نحو معين ، يعبر عن شخصيته وطبعه وطبقته وانتمائه ،"إنّ الأسلوب عموما هو التعبير الدقيق عمّا في داخله.."(٢)

وكما أن كل إنسان – مع اتفاقه مع سائر الخلق في الإنسانية ومظاهرها المختلفة – يخالفهم بعد ذلك في الشكل ، أو الطبع ، أو الذوق ،أو ما شاكل هذا ، فكذلك الحال في اللغة ؛ فالقائل – على خضوعه لقواعد اللغة العامة التي يلتزمها المتكلمون بهذه اللغة جميعا – له ذوقه الخاص في استعمالها وتشكيلها واختيار ما يريد من ألفاظها ورموزها ومصطلحاتها ، على نحو يعكس بيئته وثقافته و شخصيته ورسوم ذاته .

إن الأسلوب هاهنا اختيار، أو انتقاء، إنه "استعمال لغويّ شخصيّ"(٣) يعكس شخصية القائل ،ويكون – كما يقول شوبنهاور– "التعبير عن معالم الروح"(٤) "ودعني أسمع كيف تتكلّم أقل لك من أنت"(١).

---

(١) نحو نظرية أسلوبية لسانية: فيلي ساندريس ، ترجمة : خالد محمود جمعة " دار الفكر ، دمشق : ١٤٢٤/ ٢٠٠٣" ص٢٩

(٢) السابق نفسه

(٣) السابق : ص٣٢

(٤) السابق : ص٣٠

و للمؤلف حضوره في البلاغة والنقد العربيين ؛وقد أشار القاضي الجرجاني إشارة ذكية واضحة – سبقت الأسلوبيين المعاصرين– إلى صلة الأسلوب بطبع صاحبه ومعالم شخصيته ، حتى إنه – كما يقول – : " يرقّ شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعّر منطق غيره . وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ،وتركيب الخلق ، فإن سلامة الألفاظ تتبع سلامة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة .وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك ؛ ترى الجافي الجلف منهم كزّ الألفاظ ، معقد الكلام ، وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته ، وفي جرسه ولهجته "(٢).

٢ – الأسلوب والنصّ " الرسالة"

ولكن الأسلوب – هذه الظاهرة الفردية –لا يخضع فقط لشخصية القائل ، ولا هو وحده المشكّل للأسلوب ، بل يخضع لعوامل أخرى ، منها النصّ نفسه ، المتمثّل في طبيعة الرسالة ، أو الغرض الذي يراد التعبير عنه . وقد فطنت البلاغة والنقد العربيان إلى هذا العنصر المهم من عناصر الاتصال ، فربطت الأسلوب بالرسالة المراد إبلاغها .

يشير ابن الأثير إلى ارتباط الألفاظ المفردة التي ينتقيها المتكلّم بالغرض أو الموضوع ، فيقول : تنقسم الألفاظ في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ؛

---

(١) نحو نظرية أسلوبية لسانية : ص١٦٥

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه

ولكلّ منها موضع يحسُن استعمالها فيه؛ فالجزل منها يستعمل في مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك . وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودّات ، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك.."(١)

ويقول ابن قتيبة متحدّثا عن ارتباط أسلوبيْ الإيجاز والإطناب بالموضوع:"ليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب ، أو حمالة بدم ، أو صلح بين العشائر ، أن يقلّل الكلام ويختصره ،ولا من كتب إلى عامّة كتابا في فتح أو استصلاح أن يوجز.."(٢)

ومن قبله نقل الجاحظ أن"الإيجاز هو البلاغة. فأما الخطب بين السماطين ، وفي إصلاح ذات البين؛ فالإكثار في غير خطل ،والإطالة في غير إملال.. والسنّة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب ، ويقصّر المجيب.."(٣)
ويربط ابن رشيق أسلوبيْ الصنعة العفوية وصنعة التحكيك والتثقيف بالغرض الشعريّ ، فيقول:"قد قيل : لكلّ مقام مقال ؛ وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته، من فرح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك ، غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين؛ يُقبل منه في تلك الطرائق عفوُ كلامه ، وما لم يتكلّف له بالا.. ولا يُقبل منه في

---

(١) المثل السائر : ١/ ١٦٨ ، تحقيق: أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر ، القاهرة : ١٣٨١/ ١٩٦٢

(٢) أدب الكاتب ، تحقيق محمد الدالي ،مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٩٥

(٣) البيان والتبيين : ١/ ١١٦

هذه إلا ما كان محكّكا معادا فيه النظرُ جيّدا، لا غثّ فيه ، ولا ساقطة، ولا قلق. وشعرُه للأمير والقائد غيرُ شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدّم من هذه الأنواع .."(١)

٣- الأسلوب والمقام :

والمقام أو " مقتضى الحال" هو عمدة البلاغة العربية ،وقد ارتبطت به حتى صار جزءا من تعريفها ؛ فبلاغة الكلام هي " مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"(٢)

ومقتضي الحال ، أو المقام يعني – فيما يبدو- شيئين :

أ- السياق الخارجي

ب-المخاطب (المتلقي)

والسياق الخارجي هو الظرف ، أو الموقف ، أو الحال التي يقال فيها الكلام كأن يكون مقام فرح ، أو عزاء ، أو تهنئة ، أو نكاح ، أو ما شابه ذلك من أحوال ومقامات.

وتدعو البلاغة العربية القائل أن يراعي ذلك في اختيار ألفاظه وعباراته لتشكيل أسلوبه المناسب لهذا المقتضى .

يقول السكّاكي :"لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،ومقام المدح

---

(١) العمدة: ١/ ٢٣١، وانظر مفتاح العلوم للسكاكي:ص٩٥" البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٩٠"

(٢) الإيضاح : القزويني :ص٨٠ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت:١٣٩١/ ١٩٧١

يباين مقام الذمّ ، ومقام الترهيب يباين مقام الترغيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل . وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار. ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار. وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب .."(١)

وأما المخاطب فهو المتلقي ، مستقبلُ الرسالة ، وهو المستهدفُ بالخطاب،ولذلك كان عنصرا أساسيا في عملية الإبداع الأدبيّ ، وهو أحد أركان نظرية الاتصال.

وهكذا يبدو الأسلوب حصيلة مجموعة من العناصر؛ هي الفرد القائل، والنصّ، والمقام ، والمتلقي. وهو لا يتشكّل من واحد من هذه العناصر فحسب، بل منها جميعا. وإنّ إهمال الباحث في الأسلوب لأيّ واحد منها هو تفريط لا يعين على إيفاء الظاهرة الأدبية حقّها ، ويبقى قاصرا عن الإحاطة بها .

ومن الواضح أن هذه العناصر التي تشكل الأسلوب قائمة على توازن واعتدال بين الداخل والخارج؛ فهي لا تنظر إلى بنية العمل الأدبيّ على أنها مغلقة، منعزلة عن الملابسات الخارجية : كالتاريخ ، والمجتمع ، والمتلقي، والمؤلف نفسه، كما فعلت بعض المناهج الشكلية الحديثة ، كالبنيوية وغيرها، بل تنظر إليها – كما هو واضح– في سياقها الحقيقي.

---

(١) مفتاح العلوم :ص٩٥، ضبطه وشرحه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٣ "

إن الأسلوب – الذي هو اختيار من القائل لألفاظ وعبارات لا حصر لها، تضعها بين يديه اللغة ، بما تتميز به من ثراء – ليس اختيارا مطلقا بل هو " يرتكز بدوره على ما يقدمه الكاتب من تسويغات شخصية من ناحية، وعلى المعايير الاجتماعية المعمول بها في الاستعمال المنظم للوسائل اللغوية من ناحية ثانية؛ فالبناء اللغوي لأي نص يثير لدى المتلقي تداعيات كثيرة، قد تخاطبه وجدانيا وعاطفيا ، أو تكون عنده تركيبا إشاريا يستطيع به أن يلج باب العمليات المعرفية "(١).

إن الأسلوب " هو الطريقة الذاتية التي تشير إلى كيفية اختيار الفرد في سياق ما، ومقام ما، مما بين يديه من وسائل لغوية"(٢).

وسنتوقف في هذا البحث عند عنصر واحد من عناصر الاتصال ،وهو المتلقي، أحد المؤثرات الأساسية في تشكيل الأسلوب ، ونرى بعضا من مظاهر حضوره في البلاغة العربية :

١- اللغة ظاهرة اجتماعية :

إن البلاغة العربية قد توصّلت إلى ما توصّل إليه علم الأسلوب الحديث من أن اللغة، التي يتشكّل منها الأسلوب ، هي – من جملة مظاهرها- ظاهرة اجتماعية ، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة الناس الذين يتكلمونها،

---

(١) الأسلوبية اللسانية ، أولريش بيوشل ، ترجمة خالد محمود جمعة، ص١١٧ " مجلة نوافذ، العدد ١٣، جمادى الآخرة : ١٤٢١/ سبتمبر: ٢٠٠٠"

(٢) نحو نظرية أسلوبية لسانية : ص٤١

وإن هذه الثقافة يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية التي يسمى كل منها (مقاما) .

إن اللغة – وفي وقت واحد معاً – علامة فردية مميّزة ، وعلامة طبقية مميّزة في الجماعة الواحدة . وهي – باعتبارها نظاماً اجتماعيا – تنحو مناحي كثيرة ، وتظهر بأشكال لا حصر لها . فلكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة على حسب طبقتهم الاجتماعية. للرجال ألفاظ معينة تشيع فيما بينهم ، لا تعرفها النساء ، ولا يتلفظن بها أبدا . وللأطفال كلماتهم وعباراتهم التي تجعل لهم عالماً اجتماعياً متميزاً. وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تعبر عن مرحلة من مراحل العمر، وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة .

كما أن لكل طائفة من الناس استعمالاً لغوياً يختلف باختلاف تخصصها ومهنتها ، فبين الأطباء تشيع أنماط من التعبير لا يستعملها المحامون ، كما يختص عالم المهندسين بضروب من التعبير لا تخطر في بال الصيادلة ، أو الأساتذة ، أو العمال ، أو غيرهم من أصحاب المهن والتخصصات الأخرى.

وقد عبر الجاحظ عن هذه الفكرة أدق تعبير بقوله :"ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة "(١) كما يتدخل في تكوين هذه

---

(١) الحيوان :٣/ ٣٦٨

الأنماط اللغوية المختلفة البيئة أو الوسط الذي ينشأ فيه الفرد ؛ فلغة أهل البادية أو الريف تختلف كثيراً عن اللغة المتداولة في الحواضر والمدن ، بل قد تختلف اللغة من حي إلى حي ، فتشيع في هذا الحي ألفاظ لا يعرفها أهل الأحياء الأخرى ، ولا يتداولونها .

وقد نبه محمد بن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء على أثر البيئة في اللغة تنبهاً دقيقاً ، ولاحظ هذا الأثر في شعر عدي بن زيد ، فقال عنه : " كان يسكن الحيرة ، ويراكن الريف ، فلان لسانه ، وسهل منطقه "(١) وأشار المفضل الضبي إلى تأثر عدي ببيئته ومن يفد إليها، فقال :" كانت الوفود تفد على الملوك بالحيرة ، فكان عدي بن زيد يسمع لغاتهم ، فيدخلها في شعره " ومن أجل هذا أحس النقاد أن له نمطا لغوياً خاصاً ، فقال عنه الأصمعي :"إن ألفاظه ليست بنجدية "(٢) .

ولاحظ أبو عمرو بن العلاء أن نشأة الطرمّاح بن حكيم بسواد الكوفة أثرت في لغته ، فكثرت في كلامه ألفاظ النبيط(٣).

ويتدخل في تشكيل هذه الأنماط اللغوية أيضا الدين الذي يعتنقه الفرد، فيتميز المسلمون بأشكال من التعبير لا يعرفها النصارى ولا اليهود ، كما يتداول الآخرون ضروباً من الألفاظ والكلمات التي لا يعرفها أصحاب الأديان الأخرى .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٤٠

(٢) الموشّح : ١٠٣

(٣) السابق : ٣٢٦

والحق بعد ذلك أن تأثير هذه العوامل الاجتماعية المختلفة – التي ذكرنا بعضاً منها على سبيل التمثيل لا الحصر – لا يقتصر على تغير أشكال التعبير فحسب ، أو التميز باستعمال ألفاظ وعبارات معينة ، ولكنه يجاوز هذا المعجم اللغوي الخاص بكل طبقة اجتماعية ليظهر كذلك في طريقة نطق الحروف ، وإخراج الأصوات من ناحية ، وفي طريقة بناء الجمل وتركيبها من ناحية أخرى .

وهكذا تبدو اللغة علامة طبقية مميزة ، تدل على بيئة الإنسان ونشأته وحيه ومهنته ودينه ونوعه وعمره . وإن تغيير الفرد للغته التي تدل على وضع طبقي معين ، حتى ينتقل بها إلى وضع طبقي آخر : أدنى أو أعلى ؛ لأمر عسير جداً .وهو أمر – إن تأتى – لابد أن يمر بمرحلة طويلة من الدربة والمراس والمران ، ثم لا مندوحة أن يندّ عن هذا الفرد بين الحين والحين ما يشعر بأصله الطبقي ، أو يشير إليه من قريب أو بعيد .(١)

أثر المتلقي في تشكيل الأسلوب :

إن هذه الاعتبارات جميعا توضّح أن الأسلوب – زيادة على صلته بصاحبه، وأنه ظاهرة فردية تخضع لذاتية القائل ، وزيادة على مراعاته لطبيعة الرسالة التي يريد إبلاغها-- هو كذلك ظاهرة اجتماعية ، ولا بدّ أن يأخذ في حسبانه المخاطب ، وأن يراعيه ، وأن يتشكّل في ضوء معرفته، ومعرفة اللغة التي تناسبه معرفة كافية.

---

(١) انظر في تفصيل هذه المسائل : peter Trudgill. Sociolinguistics. Penguin Books, England :١٩٨١

إنّ المتلقي حاضر دائما في أي تشكيل أسلوبيّ بلاغيّ من غير أن ينفي ذلك حرية الكاتب في الاختيار؛ فلكلّ من الإرسال والتلقي دور في التشكيل الأسلوبيّ .

يقول أحدهم :" ليست الظاهرة الأدبية هي النصّ فقط ، ولكنها القارئ أيضا ، بالإضافة إلى مجموع ردود فعله الممكنة على النصّ ، وعلى القول وإنتاجية القول "(١).

وتهتم الأسلوبية الحديثة – على نحو ما اهتمّت البلاغة العربية –بالمتلقي اهتماما كبيرا ، وتسمى الدراسة التي تبحث في ذلك " أسلوبية المتلقي" وفيها يحتلّ القارئ/ المتلقي/ مكانة بارزة في نظرية الأسلوب الأدبية الاتصالية؛ حيث لا يظهر القارئ هامشيا ، وإنما لا يتحقّق الوجود الأسلوبيّ ، أو الفعل الأسلوبيّ ، إلا بحضوره وتجلّيه(٢).

إنّ الاختيار الذي يمارسه المبدع لألفاظه وعباراته وصوره وأفكاره ، ولأسلوب نظمها على شكل معين ليس خاليا من الضبط إذن، وإن حريته في هذا الاختيار ليست مطلقة ، بل يتم ذلك – في جملة ما يتم – باستحضار المتلقي ، أو المخاطب ، بمصطلح البلاغة العربية. وهو يشكّل عنصرا أساسيا من عناصر الاتصال اللغويّ .

---

(١) انظر " نظريات التلقي" لجان لوي دوفان ، ترجمة : منذر عيّاشي " مجلة البيان الكويتية.

(٢) انظر " الأسلوبية : الاتصال والتأثير " لموسى ربابعة " مجلة علامات ،ج٢٧/ مجلد٧، ذو القعدة: ١٤١٨/ مارس :١٩٩٨" ص٣٢

إنّ النصّ الأدبيّ – بمصطلح اللسانيات ، كما عبّر عنه رومان جاكبسون– رسالة من مبدع ، يبعث بها إلى مخاطب، متلق، أو مرسل إليه، يستقبلها في سياق معين ، ومن خلال قناة أوسيلة اتصال معينة ، وبحسب نظام لغويّ "شفرة:code "متعارف عليه بين المبدع المرسِل والمستقبل المرسَل إليه (١). وهذا كلام يلتقي – كما ترى– في كلام حازم القرطاجني الذي أوردناه في الفقرة السابقة.

يقول أحد النقاد: " ينبغي فهم الأسلوب على أنه ظواهر معينة في نص ما ، أو يقصد إنتاجه في مسألة الإبداع الفني ، أو يتم تحليله بالنظر إلى تأثيره في القارئ ، ويمكن للإنسان أن يرمز لهذه الإمكانيات الثلاث على أنها أسلوبية نصية داخلية ، وأسلوبية إنتاج ، وأسلوبية تلق، ولهذا يأتي قطاع الاتصال الأدبي في المقدمة .إن عنصر الأسلوب لا يمكن تجريده من النص، ولا من المؤلف ، ولا من المتلقين "(٢).

وعرف أحدهم الأسلوب بأنه يمثل أمارة يستدل بها على قدرات المنتج ومواقفه ومقاصده، وإشارة يعتمد عليها في تحقيق التأثير المرمي إليه في المتلقي "(٣).

---

(١) نحو نظرية أسلوبية : ص١٢٧

(٢) انظر " نظرية اللغة الأدبية" لخوسيه ماريا إيفاتكوس ، ترجمة :خالد أبو أحمد " مكتبة غريب ، القاهرة : ١٩٩٢" ص٨٩

(٣) الأسلوبية اللسانية : ص١١٧

الأسلوب والموقف الاجتماعيّ:

إن هذه الاختلافات اللغوية ، التي تدرس عادة في فرع من علم اللغة يعرف بعلم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics – والتي سقنا نماذج منها – على سبيل التمثيل لا الحصر – تشترك في تكوين ما يسمى في (علم الأسلوب الحديث) بالموقف أو المقام ، وهو ما يحاول القائل أن يراعيه فيما يختاره من طرق التعبير ، وفي استخدامه للغة . وهكذا يبدو الأسلوب ثمرة من ثمرات هذا الاهتمام بالموقف ،ومراعاته، وأخذه في الاعتبار .

فالفرد القائل يريد أن يوصل إلى شخص آخر ، أو إلى مجموعة من الناس معنى ما ، وهو – إن كان ينشئ عملاً فنيا – يتوخى إلى جانب التوصيل التأثير في المتلقي ، وهو – من أجل تحقيق واحد من هذين الغرضين أو كليهما معاً – يراعي مجموعة من الاعتبارات ، على رأسها تلك الفروق اللغوية الموجودة بين الأفراد والجماعات ، فيدخل في حسابه عند استعماله للغة على أسلوب معين دلالات كثيرة : دلالات تتمثل في طريقة النطق ، واختيار الكلمات والتراكيب ، ومراعاة مصطلحات معينة . وهي جميعها دلالات يأنس إليها السامعون ، وتلقى عندهم قبولاً، ويحقق القائل بواسطتها غرضي التوصيل والتأثير اللذين ينشدهما على أتم وجه .

ومن الواضح أن هذا الموقف الذي نتحدث عنه يعنى بشيئين اثنين : بالمتلقي ونوعه ودرجته الاجتماعية ، وبالحالة أو الظرف الذي يعد له

الأسلوب ، أو يقال فيه الكلام ، وهما بطبيعة الحال جانبان متداخلان أو هما وجهان لقطعة نقدية واحدة .

وتلتقي البلاغة العربية – في وضعها الأسلوب في إطاره من الملابسات الكثيرة التي تؤثر في تشكيله ، ومنها المواقف الاجتماعية– مع الأسلوبية المعاصرة ، ومع " التداولية" وهي فرع من علم العلامات "السيميولوجيا" التي تعنى – كالبلاغة– " بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصليّ الذي يتحدّث فيه المتكلّم..تعنى بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصّة به ، أي للعلاقة بين النصّ والسياق"(١).

إن مفهوم " التداولية" يغطّي ما يسمّى في البلاغة العربية " مقتضى الحال " التي أنتجت مقولة : " لكلّ مقام مقال"(٢) .

حضور المتلقي في البلاغة العربية :

قفز الاهتمام بالمتلقي بقوة إلى واجهة الدراسات الأدبية والنقدية بعد انحسار البنيوية ، وبدا للباحثين واضحا أنّ الأسلوب لا يشكّل حضوره الفاعل إلا من خلال المتلقي الذي يحكم عليه، ويميز تأثيره ، إذ هو المعني به أصلاً ؛ فهو الذي يتلقى الرسالة التي هي إحدى عناصر الاتصال التي أشارت إليها البلاغة العربية واللسانيات الحديثة.

---

(١) بلاغة الخطاب وعلم النصّ : صلاح فضل: ص٢٥ " سلسلة عالم المعرفة ، العدد : ١٦٤، الكويت :١٤١٣/ ١٩٩٢

(٢) السابق : ص ٢٦

وما يسمى الآن في الدراسات الأسلوبية الحديثة ب " أسلوبية التلقي " هو أسّ البلاغة العربية التراثية التي كان في أصل تعريفها أنها " مراعاة مقتضى الحال " والمخاطب أو المتلقي هو أهم عناصر الحال التي تراعى .

وقد حظي المتلقي في التراث البلاغي والنقديّ عند العرب بمكانة فاقت مكانة المؤلف نفسه ؛ ذلك أن الأدب العربيّ: شعرا ونثرا، كان دائما ملتصقا بالجمهور، مجنّدا لخدمة همومه ومشكلاته. لم يشهد تراثنا الأدبيّ جفوة بينه وبين المتلقي كما حصل مع قدوم موجات الحداثة التي حملت معها التشويش والفوضى والغموض ، فكانت " نظرية التلقي " أو استجابة القارئ " لونا من ألوان تملّق هذا المتلقي، وردّ الاعتبار إليه ، بعد أن أهملته بعض الاتجاهات الحداثية الغربية، وجعلت السلطة الأدبية كلّها للمؤلف، أو للنصّ وحدهما . وحسب المنبهرون بكلّ ما يأتي من الغرب أن هذا الاهتمام بالمتلقي هو فتح جديد في الفكر الإنسانيّ ، وأنّ أحدا لم يعرفه من قبلهم .

إنّ المخاطب/ المتلقي حاضر في التراث الأدبيّ العربيّ حضورا طاغيا عند كلّ من المبدع والناقد معا .

يقول ابن رشيق داعيا الشاعر إلى مراعاة المخاطب : " غاية الشاعر معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان؛ ليدخل إليه من بابه ، ويداخله في ثيابه ؛ فذلك سرّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس ، وبه تفاضلوا "(١) .

---

(١) العمدة : ص ٢٣٠ " شرح صلاح الدين الهوّاري ، مكتبة دار الحياة ، مصر : ١٩٩٦"

وقال الجاحظ مخاطبا الكاتب : " إذا أعطيت كلّ مقام حقّه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقّ الكلام ؛ فلا تهتمّ لما فاتك من رضا الحاسد والعدو؛ فإنه لا يرضيهما شيء .."(١)

إنّ المتلقي هو جزء من المقام كما سبق أن أشرنا ، وقاعدة " لكلّ مقام مقال" التي تعد تعريفا للبلاغة تجعل المتلقي أهم ركن في هذا المقام .

يقول تمام حسان :" حين قال البلاغيون " لكلّ مقام مقال . لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام"وقعوا على عبارتين من جوامع الكلِم ، تصدقان على دراسة المعنى في كلّ اللغات لا في اللغة العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كلّ الثقافات على حدّ سواء . ولم يكن " مالينوفسكي"وهو يصوغ مصطلحه الشهير"Context of situation" يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها . إنّ الذين عرفوا هذا المفهوم قبله ، وهم العرب ، سجّلوه في كتبهم تحت اصطلاح "المقام" ولكن كتبهم لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح " مالينوفسكي"من تلك الدعاية؛ بسبب انتشار نفوذ العالم الغربيّ في كلّ الاتجاهات، وبراعة الدعاية الغربية الدائبة"(٢).

وقد أخذت عناية البلاغة العربية بالمتلقي عدّة أشكال ، لا يتسع بحث موجز مثل هذا أن يقف عليها جميعها ، ولذلك سنشير باختصار إلى أبرز الملامح العامّة التي تشكّل وجه هذه القضية :

---

(١) البيان والتبيين : ١/ ١١٦

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: ص٢٧٢ " عالم الكتب ، القاهرة : ١٩٩٨"

راعى الأسلوب البلاغي جوانب كثيرة تتعلّق بالمخاطب؛ فاستحضره في التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والإيجاز والإطناب ، وفي ضروب الخبر المختلفة ، وفي صياغة الصورة الأدبية ، وفي وضوح الكلام وشفافيته، وفي بناء القصيدة، وفي غير ذلك من أساليب صياغة الكلام الكثيرة . وجميع ذلك من أجل إيصال الرسالة إليه معبّرة مؤثرة ، تتفق مع أحواله المختلفة : نفسيا، وثقافيا ، واجتماعيا، وطبقيا ، وغير ذلك .

١- الجانب النفسيّ :

يتشكّل الأسلوب البلاغيّ في أحيان غير قليلة مراعيا الجانب النفسيّ ، أو الحالة النفسية للمخاطب ، سواء أكان هذا المخاطب حقيقيا ، له وجود ماديّ ملموس ، أم كان مخاطبا متخيلا أو مفترضا ، يشبه- إلى حدّ ما- ما يسمى عند أصحاب نظرية التلقي "القارئ الضمني" وهو قارئ يقول عنه آيزر :" تحيل فكرة القارئ الضمنيّ إلى بنية نصّية لمثولية المتلقي، وإنّ المقصود بهذا هو شكل يجب أن يكون متحققا. فالقارئ الضمنيّ إنما هو مفهوم يضع القارئ أمام النصّ ، وذلك في حدود التأثيرات النصّية التي يصبح الفهم إزاءها فعلا من الأفعال"(١) .

ومن أمثلة مراعاة حالة المخاطب، وهي كثيرة:

- **حالات الخبر**: فالخبر ابتدائي ، أو طلبيّ ، أو إنكاريّ . وأساليب الخبر هذه مراعى فيها حالة المخاطب النفسية، وما يعتريه من يقين ، أو تردد، أو شك ، أو إنكار وجحد ، أو ما شابه ذلك.

---

(١) نظريات التلقي، لجان لوي دوفان، ترجمة منذر عياشي ، ص ٨٩ " مجلة البيان الكويتية، العدد د: " وانظر كذلك " نظريات التلقي" فرانك شو يرويجن ، ص ٩٨ " مجلة علامات ، مارس : ١٩٩٨م

قال البلاغيون : "إن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر، والتردد فيه ؛ استغنى عن مؤكدات الحكم ، كقولك : جاء زيدٌ ، وعمرو ذاهبٌ، فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خاليا . وإن كان متصوّر الطرفين، مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له ؛ حسُن تقويته بمؤكّد ، كقولك : لزيدٌ عارفٌ ، أو : إنّ زيدا عارفٌ . وإن كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار ، فتقول : إني صادقٌ، لمن ينكر صدقك ، ولا يبالغ في إنكاره ، وإني لصادقٌ ، لمن كان يبالغُ في إنكاره"(١).

وتؤخذ هذه الحالة النفسية للمخاطب في الحسبان حتى عند كسر هذه القاعدة ، والخروج بالخبر إلى ما سمّاه البلاغيون "خروج الكلام على خلاف الظاهر" فلا يساق الخبر للمتلقي بحسب الحالات السابقة ، بل يُخرَج عليها لاعتبارات نفسية كذلك؛ حيث "ينزّل غيرُ السائل منزلة السائل ، إذا قدّم إليه ما يلوّح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب"(٢).

- **ومن هذه المراعاة النفسية لحالة المخاطب ما يتعلّق ببعض أساليب القصر**؛ إذ هو – بالنظر إلى هذه الحالة– ثلاثة أنواع ، هي : قصر إفراد ، وقصر تعيين ، وقصر قلب. وكلّ نوع من هذه الأنواع يوجّه إلى مخاطب – حقيقيّ ، أو متوهم– ذي حالة نفسية معينة(٣).

---

(١) الإيضاح : ص٩٢

(٢) السابق : ص ٩٤

(٣) انظر تفصيل ذلك في الإيضاح: ص٢١٤

- ومن ذلك ما يتعلّق بأسلوب " الالتفات" والعدول بين الضمائر، ومن أغراضه تنويع أسلوب الخطاب للمتلقي لطرد السأم عنه .

يقول حازم القرطاجني في ذلك :"وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلّم ، أو ضمير مخاطب ، وينتقلون من الخطاب إلى الغيبة . وكذلك أيضا يتلاعب المتكلّم بضميره ؛ فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه . وتارة يجعله كافا أو تاء، فيجعل نفسه مخاطبا . وتارة يجعله هاء ، فيقيم نفسه مقام الغائب؛ فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلّم أو مخاطب لا يُستطاب، وإنما يحسُن الانتقالُ من بعضها إلى بعض"(١).

- **ومن مراعاة الحالة النفسية للمتلقي** ، وتقدير مقامات الكلام وظروفه، أن يحترز المتكلّم في مقام كالمدح ، أو التهنئة بمناسبة سعيدة ،أ وما شابه ذلك، من إيراد ألفاظ قد تفسد على المتلقي هذه الحالة النفسية التي هو فيها . وعلى الشاعر – من أجل تحقيق هذه المراعاة- كما يقول ابن طباطبا " أن يحترز – في أشعاره، ومفتتح أقواله- مما يتطيّر به، أو يُستجفى من الكلام والمخاطبات ، كذكر البكاء ، ووصف إقفار الديار، وتشتت الأُلاف، ونعي الشباب ، وذمّ الزمان. ولا سيما في القصائد التي تضمّن المدائح والتهاني . ويستعمل هذه المعاني في المراثي ، ووصف الخطوب الحادثة ؛ فإنّ الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطيّر منه سامعُه . وإن كان يعلم أنّ الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، فيتجنب مثل ابتداء قول الأعشى:

---

(١) منهاج البلغاء :٣٤٨

ما بكاء الكبير بالأطلال   وسؤالي ، وهل ترد سؤالي؟
دمنة قفرة تعاورها الصي..............فُ ، بريحين من صبا وشمال

ومثل قول ذي الرمّة :

ما بال عينك منها الماء ينسكبُ   كأنه من كلى مفرية سربُ؟

وقد أنكر الفضل بن يحيى البرمكيّ على أبي نواس قوله:

أربع البلى إن الخشوع لباد   عليك وإني لم أخنك ودادي

وتطيّر منه ، فلما انتهى إلى قوله :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتمُ   بني برمك من رائحين وغاد

استحكم تطيّره ، فيقال : إنه لم ينقض الأسبوع حتى نزلت به النازلة.."(١)

وذكر ابن طباطبا أمثلة أخرى على عدم مراعاة المتكلم حالة المخاطب النفسية ثم قال : "فليجتنب الشاعر هذا وما شاكله مما سبيله كسبيله . وإذا مر له معنى يُستبشع اللفظ به لطُف في الكناية عنه ، وأجَلّ المخاطب عن استقباله بما يتكرهه منه ، وعدل اللفظ عن كاف المخاطبة إلى ياء الإضافة إلى نفسه إن لم ينكسر الشعر ، أو احتال في ذلك بما يحترز به مما ذممناه ، ويوقف به على أدب نفسه ، ولطف فهمه ، كقول القائل :

ولا تحسبنّ الحزن يبقى فإنه   شهابُ حريق واقدٌ ثم خامدُ
سآلف فقدان الذي قد فقدتُه   كإلفك وجدان الذي أنت واجدُ

---

(١) عيار الشعر : ٢٠٤- ٢٠٥

وإنما أراد الشاعر : ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلفك وجدان الذي قد وجدته ؛ أي : تتعزى عن مصيبتك بالسلو . فانظر كيف لطف في إضافة ذكر المفقود الذي يُتطيّر منه إلى نفسه ، وما يُتفاءل إليه من الوجدان إلى المخاطب ، فجعل الموجود المألوف للمعزّى ، والمفقود لنفسه "(١) .

٢- المستوى الثقافي:

راعت البلاغة العربية في تشكيل الأسلوب مستوى المخاطب الثقافي والفكريّ ، وكان ذلك وجها آخر من وجوه حسن التواصل معه، وإيصال الرسالة إليه معبّرة مؤثرة .

نجد في البلاغة العربية دعوة لحوحا أن يكون الخطاب بحسب شخصية المستهدف به؛ فلا يكون أسلوب موجّه إلى العالم كمثل أسلوب موجه إلى جاهل أو قليل الثقافة ، ولا يخاطب بأسلوب أهل اختصاص قوم لا دخل لهم بهذا الاختصاص ؛ ذلك أن الأساليب واللغة التي تستعمل فيها هي نتاج حالات اجتماعية كما سبق أن أشرنا.

وقد يكون الحطيئة المخضرم القائل لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه :

تحنّنْ عليّ هداك المليكُ   فإنّ لكلّ مقام مقالا(٢)

أول من ألمع إلى فكرة " ارتباط المقام بالمقال" ولعل بشر بن المعتمر بعد ذلك أوّل من وضح هذه القاعدة ، فربطها بالموقف وبالمخاطب ، بمراعاة

---

(١) السابق : ٢٠٧-٢٠٨

(٢) ديوان الحطيئة : ص ٣٣٥ " تحقيق نعمان طه ، القاهرة ، مكتبة الخانجي :١٩٨٧

قدره ، ومعرفة حاله ، وما يحظى عنده من الألفاظ والمعاني ، فقال : "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين . وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ، ولكلّ حالة من ذلك مقاما. حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"(١).

ثمّ اتسع الجاحظ في هذه الفكرة ، فدعا المتكلّم أن يراعي أحوال المخاطبين ، فلا يكون ما يوجهه إليهم فوق مستواهم ، أو ممّا لا رصيد له في مخزونهم الثقافي والفكريّ .

يقول الجاحظ :" أرى أن ألفظ بألفاظ المتكلّمين ما دمت خائضا في صناعة الكلام مع خواصّ أهل الكلام ؛ فإنّ ذلك أفهم لهم عني ، وأخفّ لمؤنتهم عليّ . ولكلّ صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مشاكلا بينها وبين تلك الصناعة . وقبيح بالمتكلّم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلّمين في خطبة ، أو في رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته.. ولكلّ مقام مقال ، ولكلّ صناعة شكل"(٢).

والتقط ابن وهب أذيال الفكرة من الجاحظ ؛ فأطال في الكلام على ارتباط اللغة بأوضاع أهلها وأعصارهم وصنائعهم" ذلك أن للمتكلمين

---

(١) البين والتبيين : ١/ ١٣٩

(٢) الحيوان : ٣/ ٣٦٩

من أهل اللغة أوضاعا لبست في كلام غيرهم ، مثل : الكيفية ، والكمية، والمائية..فمتى كان المتكلّم غيرهم كان المتكلّم بذلك مخطئا، ومن الصواب بعيدا ، ومتى خرج عليها في خطابهم كان في الصناعة مقصّرا. وكذلك للمتقدّمين من الفلاسفة والمنطقيين أوضاع متى استعملت مع متكلمي هذا الدهر وأهل هذه اللغة كان المستعمل لها ظالما ، وأشبه من كلام العامّة بكلام الخاصّة، والحاضرة بغريب أهل البادية .. وأشباه ذلك مما إذا خاطبنا بهم متكلمينا أوردنا على أسماعهم ما لا يفهمونه إلا بعد أن نفسّره ، وكان ذلك عيّا وسوء عبارة ، ووضعا للأشياء في غير مواضعها"⁽¹⁾.

وقد لاحظ بعض البلاغيين العرب أن مراعاة المستوى الفكري والعقلي وحال المخاطب عامّة هي من سمات الأسلوب القرآنيّ . أشار ابن وهب إلى ذلك ، وبيّن تنوّع خطاب الذكر الحكيم بحسب مقام المخاطب وحاله ، فقال عن أسلوبيْ الإيجاز والإطناب :" فأما المواضع التي ينبغي أن يستعمل كلّ واحد منهما فيها ؛ فإنّ الإيجاز ينبغي أن يُستعمل في مخاطبة الخاصّة، وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبمجمله عن تفسيره.. وأمّا الإطالة ففي مخاطبة العوام ، ومن ليس من ذوي الأفهام ، ومن لا يكتفي من القول بيسيره، ولا يتفق ذهنه إلا بتكريره؛ ولهذا استعمل الله – عزّ وجلّ– في مواضع من كتابه تكرير

---

(١) البرهان في وجوه البيان : أبو الحسن ابن وهب : ص ١٩٥-١٩٦ " تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة : ١٣٨٩/ ١٩٦٩ "

القصص ، وتصريف القول ، ليفهم من بعُد فهمه، ويعلم من قصُر علمه. واستعمل في موضع آخر الإيجاز والاختصار لذوي العقول والأبصار"(١).

وطبق النقّاد والبلاغيون هذه القاعدة التي أُصّلت نظريا في مقاربتهم للأعمال الإبداعية، فنقدت كثير من النماذج لأنها لم تضعْ المخاطب في موضعه اللائق، ولم تتوجه إليه بقول يتناسب مع حالته الفكرية والثقافية .

خاطب أبو تمام فتى اسمه عبدوس بقوله :

قسمتْ له وقاسمتني بسلطان   من السحر مقلتا عبدوس
فالقسيمُ القسّامُ عن لحظات   منهما يختلسْن حبّ النفوس
فالذي قاسمت بلحظ إذا اللي..   لُ تمطّى من الكرى المنفوس

فقال الجرجاني في نقده : " ولست أدري- يشهد الله- كيف تصوّر له أن يتغزّل وينسب، وأيَّ حبيب يُستعطف بالفلسفة ؟ وكيف يتّسع قلب عبدوس هذا- وهو غلام غرّ حدث مترف – لاستخراج العويص ، وإظهار المعمّى؟ "(٢).

ولم يكن ردُّ بشار – الذي استحسنه البلاغيون – على منتقديه إلا من قبيل هذا الإدراك لأهمية المتلقي، واستحضاره عند إنشاء الرسالة .

قال بشار بن برد في رباب جاريته :

ربابة ربّة البيت   تصبُّ الخلّ في الزيت

---

(١) السابق ص ١٥٣-١٥٥

(٢) الوساطة : ص ٦٩

لها عشر دجاجات   وديكٌ حسنُ الصوت

فانتقد بسبب تفاوت شعره ؛ إذ يقول مثل هذا الشعر السهل البسيط الخلي من الصنعة ولاتنميق، وهو القائل من قبلُ "شعراً يثير به النقع، ويخلع به القلوب" مثل:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدّما
إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة   ذرا منبـــــر صلّى علينـــا وسلّما

فقال لهم بشار - معتمدا على قاعدة مراعاة المتلقي- : " لكلّ وجه موضع؛ فالقول الأول جدّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا آكل البيض من السوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها ، فهذا عندها من قولي أحسن من :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

عندك "(١)

المستوى الاجتماعي والطبقي :

وذلك أن يأخذ المتكلّم في الاعتبار حال من يخاطب ، فيعرف قدره ومكانته الاجتماعية فيختار من الألفاظ والعبارات ما يناسب هذا المتكلم ، فما خطاب الملوك أو القادة أو الرؤساء ، مثل خطاب عامة الناس ، بل ما خطاب الملك مثل خطاب الوزير ، ولا خطاب الوزير مثل خطاب المدير.. وقس على ذلك.

---

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني :٣/ ١٦٢ " دار الكتب المصرية ، القاهرة "

يتحدث ابن رشيق عن اختلاف أسلوب الشاعر بحسب طبيعة المخاطب ، فيقول : " وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب : ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع"(١).

ولقد كان هذا جزءاً من المقام الذي دعت البلاغة العربية إلى مراعاته في الأسلوب ، وإلى نظم الكلام في ضوئه ، وقد مر معنا قول بشر في وجوب مراعاة المتكلم لأقدار المستمعين عندما قال " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستقيمين على أقدار تلك الحالات" .

وأكد ابن قتيبة على هذه المراعاة فدعا الكاتب قائلاً : " نستحب له أيضاً أن ينزل ألفاظه في كتبه ، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه ، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ،ولا رفيع الناس وضيع الكلام ؛ فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه "(٢).

وإنّ مراعاة مقامات الناس في الخطاب ، ومعرفة أقدارهم ،هو من قبيل الصدق كذلك ؛ إذ هي إنزالٌ للكلام في موضعه، وإعطاؤه لمن يستحقّه.

٣- مراعاة الجنس :

يأخذ الأسلوب في اعتباره جنس المتلقي؛ فخطاب الرجل غير خطاب المرأة وهنالك من الألفاظ والعبارات والمعاني ما لا يليق أن يستعمل في حق أحدهما .

---

(١) العمدة: ١/ ٢٣١ شرح صلاح الدين الهواري ، دار مكتبة الهلال ، بيروت : ط أولى

(٢) أدب الكاتب : ص١٢٠ تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

ولم يكن النقد الذي وجه إلى عمر ابن أبي ربيعة في غزله إلا من هذا القبيل ؛ فهو يخاطب المرأة التي يتغزل بها بأسلوبٍ لا يليق بحق النساء العفيفات .

قال ابن أبي عتيق عندما أنشده عمر قوله :

بينمـــا ينعتْنَني أبصـــرنني　　دون قيد الميل يعدو بي الأغرَ
قالت الكبرى: أتعرفن الفتى ؟　　قالت الوسطى : نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تَيمتُهـــا　　قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟

" أنت لم تنسب بها ، وإنما نسبت بنفسك . كان ينبغي أن تقول : قلت لها ، فقالت لي ، فوضعت خدي فوطئت عليه .. "(١)

كما قال ابن أبي عتيق معلقاً على قول عمر:

قالت لها أختها تعاتبهـا　　لنفْســدنّ الطوافَ في عمرِ
قومي تصدي له ليعرفنا　　ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها: قد غمزتـه فأبى　　ثم اسبطرَت تشـتد في أثري

" أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بأنها مطلوبةٌ ممتنعة "(٢)

إن عمر – في رأي ابن أبي عتيق – لم يخاطب المتلقي – وهو هنا المرأة العربية – بما يليق بخطاب مثلها ؛ فالمتغزل بامرأة يخاطبها بأسلوب فيه تذلل ولين ، فيه إشعار بالطلب لها، والسعي وراءها ، وأنها مناه وطلبته ، ولا يجعل حالها – كما يصورها أسلوب عمر – راغبة ساعية ، عاشقة ولهى.

---

(١) الأغاني : ١ / ١١٩

(٢) العمدة : ٢ / ١٢٤

لقد خالف ابن ابي ربيعة الأسلوب المتبع في الغزل. وقد لاحظ النقاد كما – يقول ابن رشيق –: أن عمر " كان يتغزل بنفسه أكثر مما يتغزل بصاحباته . قال : قال بعضهم – وأظنه عبد الكريم – : العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت . وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالب والراغب الخاطب . وهذا دليل كرم النحيزة في العرب ، وغيرتها على الحرم"(١).

من دلالات الاهتمام بالمتلقي :

إنّ خضوع التشكيل الأسلوبيّ للمتلقي يشير إلى جملة من الدلالات منها :

١- وظيفة الأدب :

إن هذا الاهتمام الحار الذي يبديه التراث الأدبيّ عند العرب بالمتلقي – سواء على مستوى الإبداع ، أم على مستوى التنظير، في كلّ من البلاغة والنقد – ليعكس رؤية تتمثل في الإيمان بارتباط الأدب بالناس والمجتمع، والنظر إليه على أنه نشاط فعّال جادٌّ ، يهدف إلى إيصال رسالته إلى المتلقين مؤثرة معبّرة ، اكتملت فيها شروط الاتصال ، وتحققت لها وسائله، والمتلقي من أبرز عناصر الاتصال .

لقد كان الشعر العربيّ دائما مجنّا لخدمة القبيلة والدفاع عن قضاياها المختلفة ، وكان الشاعر لسان قومه ومحاميهم، والذائد عن أحسابهم وأنسابهم ، كان جهاز إعلامهم في الحرب والسلم .

---

(١) السابق .

يقول أبو حاتم الرازي عن الشعر العربيّ : " وجعلوا رويه في ذكر الأحساب والمآثر، ومدح الملوك والأكابر والنبلاء من الناس ، وفي ذكر المثالب ، وهجاء أهل الضغائن والأحقاد ، وفي ذكر الوقائع والحروب ، ونشر كلّ شاعر محاسن أيام قبيلته ومفاخرها ، ومساوي أهل الشنآن والبغضاء لهم "(١).

كما كان الأدب عامة ، والشعر خاصة، وسيلة للتأديب والتهذيب ، ونشر الحكمة وفضائل الأخلاق ، وللتثقيف والتعليم وصقل اللسان . كان – في مختصر من القول – ديوان العرب .وكلّ ذلك يفسّر لنا هذا الاحتفاء الكبير به وبقائله، وهذه الدعوة اللحوح إلى حفظه وتدوينه والتمثل به.

ولا شكّ أن النظر إلى الأدب على أنه خطاب جماليّ نفعيّ ، يتوخى الفرد والجماعة ، ويرتبط بقضايا الأمة المختلفة، وليس مجرد خطاب لغوي جماليّ فقط، لا وظيفة له ولا غرض ينهض به إلا الإطراب وإظهار المهارة اللفظية؛ لاشك أنّ مثل هذه النظرة سوف تستحضر المتلقي بقوة، وسوف تكون عنايتها به عناية حارة ، على مثل هذا النحو الذي نجده في التراث العربيّ الأدبيّ : إبداعا وتنظيرا.

٢- الوضوح :

كان من ثمرة الاهتمام بالمتلقي نزوع البلاغة العربية إلى الوضوح ، ونفرتها من التعقيد والغموض ،واجتناب كلّ ما يمكن أن يعوق اتصال المخاطب بالنصّ ، أو يحجبه عن فهمه، أو يؤخر هذا الفهم.

---

(١) الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية : ص٣٩ " تحقيق : حسين بن فضل الله الهمداني ، مطبعة الرسالة ، القاهرة :١٩٥٧"

قال أبو هلال العسكريّ :" قال العربيّ : البلاغة التقرّب من المعنى البعيد، والتباعد من حشو الكلام ، وقرب المأخذ . ومثله قول الآخر : البلاغة تقريب ما بعُد من الحكمة بأيسر الخطاب ." وقال أبو هلال: "والتقرّب من المعنى البعيد ، وهو أن يعمد إلى المعنى اللطيف فيكشفه، وينفي الشواغل عنه ، فيفهمه السامع من غير فكر فيه ، وتدبّر له"(١).

وقال بعضهم : " شرّ الشعر ما سئل عن معناه ، وأحسنه ما كان لفظه أقرب من معناه إلى قلبك"(٢).

ومن الملاحظ أن جماليات الكلام في البلاغة العربية تدلّ جميعها على الاتصال والإبانة والانكشاف؛ كالفصاحة ، والبيان ، والإعراب ، والبلاغة نفسها ، فهي من البلوغ ، لأنّ الكلام البليغ يبلغ المتلقي ويؤثر فيه.

إنّ خطابا أدبيا يحتفي بالمخاطب هذا الاحتفاء لا بد أن يكون خطابا واصلا إليه، سواء أكان من العامة أم من الخاصة ، وخير الكلام عند العرب ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصّة ، وهو عندئذ خطاب استوفى أمرين هامين لابدّ منهما في أي خطاب أدبيّ ناجح ، وهما : الفنية والوصول.

ولذلك كان الوضوح الذي دعت إليه البلاغة العربية – مراعاة للمخاطب، وحرصا على إفهامه – لا يعني السطحية والابتذال ، ولا يعني

---

(١) الصناعتين : ص٥٣ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٧١

(٢) جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب : أبو بكر الشنتريني :ص٣٧٠ " تحقيق محمد قزقزان ، وزارة الثقافة ، دمشق :

التعبير المباشر الخالي من التخييل والتصوير ؛ فذلك أصلا أبعد ما يكون عن لغة الأدب عامّة، وعن لغة الشعر خاصّة .ولكن الوضوح الذي قررته البلاغة العربية يعني – في مفهومه العامّ- بلوغ النص المتلقي ، وعدم انغلاقه دونه ، كما هو حاصل في نماذج كثيرة من الشعر الحداثي في هذه الأيام، حتى أصبحنا نسمع من يتبجح بالقول:

لن تفهموني دون معجزة
لأنّ لغاتكم مفهومةْ
إنّ الوضوح جريمةْ(١)

٣- التجويد اللغويّ :

ولتقدير المتلقي ، وتقديم خطاب ممتع مفيد له لم يكن الإفهام الذي يحرص عليه الأسلوب البلاغيّ إفهاما عاديا ، بل هو الإفهام بالوسائل الفنية ، واللغة الرفيعة العالية؛ لأنّ القول الأدبيّ هو تشكيل لغويّ متميّز ، هو تشكيل خارج على التعبير المألوف، واللغة العادية ، تعبير يتميّز بالعدول أو الانزياح . وقد بين الجاحظ أن العتابي عندما قال : " كلّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ،ولا حبسة، ولا استعانة، فهو بليغ"(٢) لم يكن يعني الإفهام العادي ، بل كان يعني الإفهام البليغ ، الإفهام بلغة أهل الفصاحة والأدب.

---

(١) محمود درويش، ديوانه : محاولة رقم ٧،ص٤٨١

(٢) البيان والتبيين : ١/ ١١٣

يقول الجاحظ " وإنما عنى العتّابيّ إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء"(١).

وذلك أن التشكيل البلاغيّ للأسلوب لا يهدف إلى إفهام المخاطب فحسب ، ولكنه يهدف كذلك إلى إمتاعه، وإلى إحداث الدهشة والإبهار له.

ومن ثمّ فإنّ من وجوه عناية البلاغة بالمتلقي عدّها الأسلوب عدولا عن المعيار ، وهي بذلك تلتقي مع الأسلوبية المعاصرة التي ميّزت بين اللغة الأدبية ولغة الكلام العادي ، وعدّت الأسلوب الأدبيّ طقما من الانحرافات عن اللغة العادية، يقوم على التغريب(٢). ويقوم على الإبهار والمفاجأة، أي على مفاجأة المتلقي باستعمالات لغوية لم يألفها، فتحدث له الدهشة والإمتاع .

يقول ريفاتير :" إن التأثير الأسلوبيّ هو محصّلة حقيقية ناتجة عن مفاجأة المتلقي باستعمال وسائل أسلوبية لا يتوقعها ، وتخرج على ما عهده في سياق معين"(٣).

وهو ما دعت إليه البلاغة العربية؛ في سعيها إلى تقديم معايير لتجويد الألفاظ والعبارات ، خدمة للمعاني ، وعرضها بأسلوب باهر مدهش يجتذب المتلقي ، ويؤثر فيه.

---

١) السابق : ١/ ١٦٢

(٢) النظرية الأدبية الحديثة: آن جفرسون،وديفيد روبي، ترجمة : سمير مسعود ، وزارة الثقافة، دمشق : ١٩٩٢

(٣) الأسلوبية اللسانية : ص ١٢٤

كان الجاحظ يدعو إلى هذه العناية ، فيقول عن أسلوب الشعر : " إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير"(١).

وكان ابن رشد شديد الوضوح وهو يتحدّث عن العدول الذي يميّز لغة الشعر من اللغة العادية ، ولولا هذا العدول لما كان الكلام شعرا . يقول : "إذا غيّر القولُ الحقيقيُّ سمي شعراً – أو قولاً شعرياً – ووجد له فعل الشعر ، مثال ذلك قول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة   ومسّح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطي الأباطح

وإنما صار شعراً من قبل أنه استعمل قوله : أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، وسالت بأعناق المطي الأباطح ، بدل قوله : تحدثنا ، ومشينا .

وكذلك قوله :

بعيدة مهوى القرط

إنما صار شعراً لانه استعمل هذا القول بدل قوله : طويلة العنق .

وكذلك قول الآخر :

يادار ، أين ظباؤك اللعسُ   قد كان لي في إنسها أنس

إنما صار شعرا لأنه أقام الدار مقام الناطق بمخاطبتها ، وأبدل لفظ النساء بالظباء ، وأتى بموافقة الإنس والأنس في اللفظ ..

وأنت إذا تأملت الأشعار المحركة وجدتها بهذه الحال . وماعري من هذه التغييرات فليس فيه من معنى الشعرية إلا الوزن فقط "(١).

---

(١) الحيوان : ٣/ ١٣١

إنّ عناية البلاغة بالأسلوب ، ووضع المعايير الجمالية المختلفة له لم يكن غاية في حدّ ذاتها ، ولكنه كان وسيلة لخدمة المعاني ، كي تصل إلى المتلقي في أبهج صورة، فتكون شائقة مؤثرة .

يقول ابن جني :" اعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمّة، وعليها أدلّة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصّلة ؛ عنيت العرب بها ، فأولتها صدرا صالحا من تنقيتها وإصلاحها"(٢).

---

(١) تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر لابن رشد :١٤٩-١٥١ ، تحقيق تشارلس بترورث ، وإحمد هريدي ،الهيئة المصرية العامة ن القاهرة :١٩٨٧

(٢) الخصائص :١/ ٣١٢ " تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت : ط ثانية"

خاتمة

إنّ الظاهرة الأدبية لأعقدُ من أن تُختزل في عنصر من العناصر، وإنّ السلطة في تشكيلها ليست سلطة المؤلف وحده، ولا النصّ وحده، ولا المتلقي وحده ، كما قالت بذلك بعض المناهج الغربية المعاصرة ، بل هي حصيلة ذلك كلّه ، وهذه العناصر جميعها تؤثر في إنشائها، وفي صياغتها على أسلوب معيّن .

إنّ أسلوب الظاهرة الأدبية ليس أحادي الجانب ، ولكنه منفتح على جميع المكونات والمؤثرات والعناصر .

وهذا ما لا حظه النقد والبلاغة العربيان ؛ فكان لجميع عناصر الاتصال -التي تحدُثت عنها الأسلوبية المعاصرة ، وأدركتها من قبلها البلاغة العربية – حضوره الواضح فيهما .

عنيت البلاغة بالمؤلف والنصّ ، وبيّنت دور كلّ منهما وأثره في تشكيل الأسلوب على هيئة من الهيئات . وركّزت على المقام الذي يعني المخاطب/ المتلقي، والموقف، فلاحظت أنّ هنالك مقتضيات تناسب كلا منهما ، ولا بدّ أن يراعيها كلّ متكلّم بليغ حتى يكون أسلوبه مؤثرا فعّالا . إنّ البلاغة – في جوهر تعريفها- " مراعاة مقتضى الحال " و " لكلّ مقام مقال" .

وقد توقّف هذا البحث – باختصار- عند المؤلف / المرسل، والنص/ الرسالة، والموقف أو السياق، ثمّ تخصص في الكلام على المخاطب ، أو

المتلقي/ المرسل إليه، فبيّن حضوره القويّ في البلاغة العربية ، وعنايتها الفائقة به ، حتى كاد يستأثر بأغلب الاهتمام .

عنيت البلاغة العربية بأن يتشكّل الأسلوب في ضوء معرفة المخاطب، وإدراك أحواله المختلفة : نفسيا، وثقافيا، واجتماعيا ، وطبقيا ، ونوعا ؛ إذ هو المستهدف بالخطاب الأدبيّ ؛ فالخطاب الأدبيّ العربيّ : شعرا ، ونثرا، كان موجها للتعبير عن قضايا المجتمع والناس ، وكان ذا وظيفة اجتماعية ، أو سياسية ، أو دينية، أو خلقية،أو تربوية ،أو غير ذلك ، أي كان – في مختصر من القول- خطابا غيريا جمعيا . وإنه لحقيق بخطاب من هذا القبيل أن يكون للمتلقي فيه حضور باهر ، وأن تكون مراعاته هدف المبدع والناقد على حدّ سواء .

وبسبب هذا الاهتمام بالمتلقي عنيت البلاغة العربية أن يحمل الخطاب الأدبيّ المتعة والفائدة ، وأن يكون واضحا وضوحا فنيا، لا ينغلق على المخاطب، ولا يعتاص عليه، وأن يصاغ بلغة متميزة عالية ، لغة منزاحة عن لغة الكلام العاديّ ؛ حتى يتحقّق التأثير في المتلقي/ مستقبل الرسالة ، بل حتى يتحقق الإبهار والإدهاش .

وقد بيّن البحث- من خلال مقارنات موجزة بين البلاغة العربية والأسلوبية المعاصرة- سبق هذه الأولى إلى كثير من النظرات والأفكار التي دعت إليها أحدث المناهج النقدية الغربية ، ولا سيما " نظرية التلقي ، أو استجابة القارئ" التي حسب بعض المعاصرين المنبهرين بها أنّ العناية بالمتلقي هي فتح من فتوحها .

المصادر والمراجع

- أدب الكاتب : ابن قتيبة ، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢/ ١٩٨٢
- الأسلوبية، منهجا نقديا: محمد عزّام ، وزارة الثقافة ، دمشق : ١٩٨٩
- الأغاني أبو الفرج الأصبهاني " مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، بيروت، "د . ت"
- البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق :عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي ، القاهرة : ١٣٩٥/ ١٩٧٥
- بلاغة الخطاب وعلم النصّ: صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد: ١٦٤، الكويت ، صفر :١٤١٣/ آب:١٩٩٢
- تلخيص كتاب أرسطو في الشعر : ابن رشد، تحقيق: تشارلس بترورث، وأحمد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة: ١٩٨٧
- جواهر الآداب وذخائر الشعراء والكتاب: أبو بكر الشنتريني ، تحقيق : محمد قزقزان، وزارة الثقافة، دمشق:٢٠٠٨
- الحيوان : الجاحظ، تحقيق :عبد السلام هارون : عيسى البابي الحلبي، القاهرة،ط٢
- الخصائص : ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت : ط ثانية
- الزينة في أسماء الكلمات الإسلامية: أبو حاتم الرازي، تحقيق :حسين بن فضل الله الهمذاني ، مطبعة الرسالة ، القاهرة : ١٩٥٧
- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ، تحقيق محمود شاكر ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- العمدة : ابن رشيق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت : ١٩٧٢م. وطبعة بشرح صلاح الدين الهواري،دار مكتبة الهلال ، بيروت :ط ثانية
- عيار الشعر ابن طباطبا تحقيق عبد العزيز المانع دار العلوم ، الرياض: ١٤٠٥/ ١٩٨٥

- المثل السائر: ابن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة:١٣٨١/ ١٩٦٢
- المقدّمة: ابن خلدون ، تحقيق: علي عبد الواحد وافي ، القاهرة :١٩٦٠
- منهاج البلغاء : حازم القرطاجني ، تحقيق محمد ابن الخوجة ، تونس : ١٩٦٦
- نظرية اللغة الأدبية : خوسيه ماريا ايفاتكوس ، ترجمة خالد أبو أحمد ، مكتبة غريب القاهرة: ١٩٩٢
- نقد ثقافي أم نقد أدبيّ: عبد الله الغذّامي، وعبد النبي إصطيف ،دار الفكر، دمشق:١٤٢٥/ ٢٠٠٤
- الموشح :المرزباني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر:١٣٨٥/ ١٩٦٥
- الوساطة:الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي " عيسى البابي الحلبي، القاهرة : ١٣٨٦/ ١٩٦٦
- PETER TRUDGILL, SOCIOLINGUISTICS, PENGUIN BOOKS ENGLAND,١٩٨٢

المجلات

- مجلة البيان الكويتية
- مجلة علامات السعودية
- مجلة نوافذ السعودية